أمهات المؤمنين

خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ

إعداد : محمد عبد الله رسوم : ماهر عبد القادر

جميع الحقوق محفوظة

برقم إيداع: 2017/2504

المجد للنشر والتوزيع: 01006372799

نَشَأَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ قُرَيْشٍ عُرِفَ بِالشَّرَفِ وَالرِّفْعَةِ، وَكَانَتْ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ تَلَقَّبُ بِالطَّاهِرَةِ لِحُسْنِ خُلُقِهَا وَشَرَفِهَا، وَقَدْ تَزَوَّجَتْ مِنْ عَتِيقِ بْنِ عَائِذٍ الْمَخْزُومِيِّ وَأَنْجَبَتْ مِنْهُ ابْنَةً تُسَمَّى هِنْدُ.

3

ثُمَّ تُوُفِّيَ زَوْجُهَا عَتِيقُ بَعْدَ فَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ وَتَزَوَّجَتْ بَعْدَهُ مِنْ أَحَدِ سَادَاتِ قُرَيْشٍ هُوَ أَبُو هَالَةَ بْنُ زُرَارَةَ التَّمِيمِيِّ وَأَنْجَبَتْ مِنْهُ وَلَدًا وَبِنْتًا هُمَا (هَالَةُ وَهِنْدُ)، وَتُوُفِّيَ أَيْضًا بَعْدَ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ.

وَكَانَ لَدَى السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ مَالٌ كَثِيرٌ، فَكَانَتْ تَسْتَأْجِرُ رِجَالاً لِيُسَافِرُوا بِتِجَارَتِهَا إِلَى الشَّامِ أَوِ الْيَمَنِ، وَلَمَّا سَمِعَتْ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَنْ أَمَانَتِهِ طَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يُسَافِرَ مَعَ تِجَارَتِهَا فَوَافَقَ. وَخَرَجَ مُحَمَّدٌ ﷺ مَعَ الْقَافِلَةِ الْمُتَّجِهَةِ إِلَى الشَّامِ، وَبَاعَ النَّبِيُّ ﷺ كُلّ مَا مَعَهُ وَرَبِحَ رِبْحًا وَفِيرًا.

وَلمَّـا رَأَتْ السَّـيِّدَةُ خَدِيجَـةُ حُسْـنَ أَخْـلَاقِ النَّبِـيِّ ﷺ وَأَمَانَتَـهُ، أُعْجِبَـتْ بِـهِ وَعَزَمَـتْ عَلَـى الـزَّوَاجِ مِنْـهُ، فَأَرْسَـلَتْ إِلَيْـهِ صَدِيقَـةٌ لَهَـا لِتَعْـرِضَ عَلَيْـهِ الـزَّوَاجَ مِـنْ خَدِيجَـةَ فَوَافَـقَ، وَتَـمَّ الـزَّوَاجُ. وَقَـدْ رُزِقَ النَّبِـيُّ ﷺ مِـنَ السَّـيِّدَةِ خَدِيجَـةِ بِزَيْنَـبَ وَرُقَيَّـةَ وَأُمِّ كُلْثُـومٍ وَفَاطِمَـةَ، فَأَحْسَـنَتْ السَّـيِّدَةُ خَدِيجَـةُ تَرْبِيَتَهُـمْ وَرِعَايَتَهُمْ، كَمَـا أَنْجَبَـتِ الْقَاسِـمَ وَعَبْـدَ اللـهِ اللَّذَيْـنِ مَاتَـا فِـي صِغَرِهِمَـا.

عَاشَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ فِي سَعَادَةٍ وَهَنَاءٍ، فَقَدْ كَانَتْ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ تَحْرِصُ عَلَى أَنْ تُشِيعَ فِي الْبَيْتِ جَوًّا مِنَ الرَّاحَةِ وَالْهُدُوءِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، وَحِينَمَا كَانَ يَذْهَبُ لِيَتَعَبَّدَ فِي غَارِ حِرَاءٍ طُوَالَ شَهْرِ رَمَضَانَ قَبْلَ الْبَعْثَةِ كَانَتْ تُرْسِلُ مَا يَكْفِيهِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَأَحْيَانًا كَانَتْ تَزُورُهُ فِي الْغَارِ لِتُأْنِسَ وَحْدَتَهُ.

وَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي غَارِ حِرَاءٍ عَادَ يَرْتَجِفُ وَأَسْرَعَ إِلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ يَقُولُ لَهَا: زَمِّلِينِي زَمِّلِينِي، فَأَسْرَعَتْ تُغَطِّيهِ وَتُوَاسِيهِ وَقَالَتْ لَهُ: لَاتَخَفْ، إِنَّكَ تَصِلُ الرَّحِمَ وَتُسَاعِدُ الْفُقَرَاءَ وَتُكْرِمُ الضَّيْفَ فَلَنْ يَخْذُلَكَ اللهُ أَبَدًا.

ولما اطْمَأَنّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَتْهُ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ إِلَى ابْنِ عَمِّهَا وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، الَّذِي كَانَ يَقْرَأُ كُتَبَ السَّابِقِينَ، فَلَمَّا سَمِعَ وَرَقَةُ مَا حَدَثَ لِلنَّبِيِّ بَشّرَهُ بِأَنَّهُ نَبِيُّ آخِرِ الزِّمَانِ، الَّذِي جَاءَ ذِكْرُهُ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ.

فَأَسْلَمَتْ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ عَلَى الْفَوْرِ، فَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النِّسَاءِ، وَكَانَتْ تُصَلِّي خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ سِرًّا، وَكَانَتْ تُسَاعِدُ النَّبِيَّ فِي دَعْوَتِهِ، وَتُنْفِقُ مِنْ مَالِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَحِينَمَا يَشْتَدُّ إِيذَاءُ الْمُشْرِكِينَ لِلنَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ تُوَاسِيهِ وَتُخَفِّفُ عَنْهُ الْأَلَمَ وَتُشَجِّعُهُ عَلَى مُوَاصَلَةِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ.

وَقَدْ فَرَضَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حِصَارًا اسْتَمَرَّ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ، وَمَنَعُوهُمْ مِنَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، فَكَانَتْ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ تَشْتَرِي الطَّعَامَ مِنْ مَالِهَا سِرًّا وتقدمه لِلْمُحَاصَرِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

تَقَدَّمَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ فِي الْعُمْرِ وَتَمَكَّنَ مِنْهَا الْمَرَضُ فَتُوُفِّيَتْ فِي الْعَامِ الْعَاشِرِ مِنَ الْبَعْثَةِ، وَهُوَ نَفْسُ الْعَامِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ أَبُو طَالِبٍ عَمُّ الرَّسُولِ ﷺ فَحَزَنَ حُزْنًا شَدِيدًا وَسُمِّيَ هَذَا الْعَامُ بِعَامِ الْحُزْنِ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَذَكَّرُ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ دَائِمًا وَيَقُولُ: «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا»، وَقَدْ بَشَرَ جِبْرِيلُ عليه السلام السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ فِي حَيَاتِهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ ذَهَبٍ لَا تَعَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ.

فَرَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَعَنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا.